حديث ذكاء

دلعت السنَ الشعاع ذكاءْ فلتحدثك لو تطيق بيانا

مدت الكف من وراء الستار واشارت بالفتح « يا صبح هيّا :
عاطِ كأس الضياء للاسحار وأجِلْ في الافق كوْبك الذهبيا
وأذبْ بالصبوح حب الدراري واطوِ عنها الخمار بالنور طيّا
فلقد آن وقت حل الازار فتاجلو للعالمين المحيّا
حان يا صبح ان يزول الحياء فترى وجهي الجميل عيانا

« انا يا صبح لست اسفر الاّ ان رأيت الورى سكارى بخمري
فاسقهم ما تشاء نهلاً وعلا ثم ذرهم يلهون في شر سكر
سأداوي داء الخمار فهلا هل يفيقون بعدنا ليت شعري
ليتني استطيع انطق فصلا فاين الذي به ضاق صدري
غير اني قضى عليّ الحياء اخرست مي الرزايا اللسانا »

قد رنت للانام عند الطلوع حيث جادت بدمعها مدرارا
غمرت عينها بفيض الدموع حبب الانجم الانيق قفارا
اطفأتها كواكباً كالشموع وبفحم الظلام اورثْ شرارا
فذكا جمرها بتلك الربوع واباد الاظلام والاسحارا
غمر النجم ضؤها وهو ماء ثم شبت من بعده النيرانا

بان مقراضها السنيُّ صباحا جلباً صيغ من نضار الشعاع
قص حبل الدجى فاودى وطاحا واباد الاسحار بالاسراع
سرح الغيهب المهيب سراحا فهوى للحضيض بعد ارتفاع
وبفلك السماء سار وراحا بعد ان حثهُ الضيا بالشراع
سوف يطوي ذاك الشراع الماء هكذا هكذا نرى الملوانا

قلت لما افترت بثغر ضحوك وثنايا درية عسجديه
بابتسام يحكي ابتسام الملوك وشفاهٍ محمرة ورديه :

انت يا ذكاء قضت على ذا الخلوك حين باغت بضربة عمديه
لي سؤال فاصغي لا تلوكي انت انت العلامة الابديه
كيف كنا وان كان الثواء قبل ما يصبح الورى حيوانا ؟

والى اين تنتهي ونصير بعد هذي الدنيا وهذا الشقاء ؟
او حقا ارواحنا ستطير حين تودي اجسامنا في الفضاء
ويوم بلاؤه مستطير يحشر العالمون بعد البلاء ؟
فلقد حار يا ذكاء الخبير خابطاً في الحياة كالعشواء
امعاد ان حان وبك الفناء فيرينا جهاً وجنانا ؟

انت سر البقا ورمز الحياة انت ام الكواكب السياره
بك حول الاشياء والكائنات انما البدر منك نال استعاره
نور خديك قوة للنبات ان زها الورد فهو منك استعاره
خبرينا عن العظام الرفات افصحي او فأنبئي بالاشاره
الحق هذى النفوس هباء ام لها خط ربنا عنوانا ؟

أجل العدل فانبري الظلم يجري صال حتى نال الربى والجبالا
صير الاسد ذات ناب وظفر فلاي الامور اشقى الغزالا
وابتلى الشيخ بانكسار وفقر ولماذا قد امرض الاطفالا ؟
احكم ام حكمة لست ادري ؟ ما ارى يا ذكاء الا خيالا
انت ادرى بما يسن القضاء ولاي الاسباب قد اشقانا

كان عش في دارنا للحمام ضم فرخين ناهضين قليلا
باتت الام فيه رهن الحمام والاب المستهام امسى عليلا
كم اذابا الحشا بنقل الطعام اتعبا الجسم والجناح طويلا
جاء قط بمخلب كالسهام ونيوب تحكي الحسام الصقيلا
صاد فرخيهما فضاق الفضاء بهما حين حاولا الطيرانا !

ذكرتني شجون هذى الرزيه برباعية الحكيم الطوسي
قال يلحو الحياة بالفارسية ويلوم القضا بوجه عبوس

ان كاساً من الزجاج نقيه صنعتها الايدي تكير الكؤس
لا ترى كسرها الا كف الشقيه كيف يرضى ربي بقتل النفوس
ليت شعري ان حارت الشعراء فمن اليوم يرشد الحيرانا ؟

ليتني يا ابنة السما كنت زهره وغذائي الضيا وماء صاف
غير اني اخشى من النحل ضره ان يطر حائماً على اطرافي
او ببطن البحار امسيت دره اودعتها الامطار في الاصداف
لا لعمري بل ليتني كنت جمره ليس الا الاحراق من اوصافي
علّ في وقدها يزول الداء ذاك داء علاجهُ اعيانا

ليتني كنت بلبلاً غريدا يتغنى باحسن النغمات
يحسن الشدو دائماً والنشيدا غير اني اخشى افتراس البزاة
او غزالاً حرّاً يجوب البيدا انما ذاك يتقي الضاريات
فاذاً ليت كنت بيراً عنيداً تائهاً بالمخالب الداميات
اكلهُ اللحم والشراب الدماء كلما ظل جائعاً عطشانا

ليتني كنت في الرياض فراشه اتغذى بالزهر عند الصباح
فالاقاح التراب يضحي فراشه وفراشي انا خدود الاقاح
وبقطر الندى اروّي الحشاشه انما الزهر ان زها اقداحي
ان يرى الورد في الصباح انتعاشه فبه نعشتي وروحي وراحي
لا لعمري فالحية الرقطاء هي خير عيشاً واعظم شانا

ليتني كنت كوكباً دريّا بازغاً في الظلام كالمصباح
وبصدر السماء اسمي حليا مثل وشم على خدود الملاح
ليتني البدر كاملاً ابديا ابد الدهر راحة الارواح
لا لعمري بل ليت ما كنت شيّا لم اجيء قط عالم الاشباح
اهملتني الاكوان والاشياء ليت هذا الشقا اذاً ما كانا

طهران : ميرزا عباس الخليلي
صاحب جريدة « اقدام » الفارسية